مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: رواية "الشيخ الأبيض" : الرؤية والتشكيل الفني
اسم الكاتب: بن عيسى بطاهر
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9022
تاريخ الاسترداد: 2026/05/13 01:47 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد A

المجلد 16، العدد 2
ربيع الأول 1441 هـ / ديسمبر 2019 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

ديسمبر 2019م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 16 العدد 2 (A)
https//:doi.org/10.36394/jhss/16/2A/3

رواية «الشيخ الأبيض»: الرؤية والتشكيل الفنّي

بن عيسى بطاهـــــــر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشارقة
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام: 15-02-2018 **تاريخ القبول: 28-03-2018**

ملخص البحث:

تعدّ رواية «الشيخ الأبيض» أحد أبرز الأعمال الروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي؛ فقد أثار فيها مجموعة من الرؤى والأهداف جعلتنا نقف أمام عمل أدبي واعٍ قائم على تشكيل فنّي مترابط، وكان اختيار هذه الرواية لكونها حكايةً تاريخيةً أقرب أسلوبًا من غيرها إلى السرد الفنّي؛ فقد كانت غاية الكاتب المعلنة تقديم نصّ يصلح للتمثيل السينمائي؛ فجاء النصّ بثوب فنّي في عرضه للمشهد التاريخي، كما أنّه نصّ مكثّف الدلالات رغم صغر حجمه؛ فهو مفتوح على كثير من الاحتمالات والتخمينات. وقد عُني الباحث بدراسة هذه الرواية متبعًا المنهج الوصفي التحليلي، وكان التركيز على إثارة إشكاليتين: أولهما: محاولة الكشف عن رؤية الكاتب وأهدافه المعلنة وغير المعلنة، وهي إشكالية تحتاج إلى مزيد من الدراسة والنقد والتمحيص؛ ذلك أنّ هذا النصّ الأدبي منفتح على قراءات تأويلية وتفسيرية متعدّدة. وثانيهما: البحث في التشكيل الفنّي الرواية، وذلك باستجلاء أبرز معاييرها الفنية والأسلوبية، مع التركيز على عتبات النصّ ولاسيما العنوان، ثمّ التشكيل اللغوي المتمثّل في لغة السرد والحوار مع الإشارة إلى الزمان والمكان، كما كان من المفيد تصدير هذه الدراسة بتمهيد عن إشكالية تصنيف هذا العمل بين الأجناس الأدبية.

الكلمات الدالة: الرواية التاريخية، التشكيل الفني، السرد.

مقدمة:

يعدّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أحد أبرز الدارسين عنايةً بالتاريخ القديم والحديث لمنطقة الخليج العربي في فترات الصراع الأوربي العربي؛ وقد تميّزت كتاباته وأدبياته بالموضوعية والحرص على التثبّت من الحقائق في سرد الأحداث، كما أنّه سلك اتجاهًا أدبيًا في التعامل مع التاريخ العربي؛ فكتب أعمالاً مسرحية وروائية وسيرًا وتراجم ذاتية عرض من خلالها رؤاه وتحليلاته، وهي أعمال جادّة جديرة بالدراسة والبحث.

وفي مجال الفنّ الروائي ألف ثلاث روايات تاريخية هي: «الرجل الأبيض» و«الأمير الثائر» و«الحقد الدفين»؛ وهي أعمال تجمع بين السرد التاريخي والفنّي، غير أنّها منطلقة من أحداث حقيقية تؤكدّها الوثائق التاريخية التي اطلع عليها، كما أنّها تثير مجموعة من الأفكار والتحليلات المتعلّقة بالأحداث الخاصّة بالوجود الغربي في المنطقة العربية، ورفض الإنسان العربي للوجود العسكري الاستعماري. ولعلّ من أبرز تلك الروايات رواية «الشيخ الأبيض» التي تحدّثت عن أحداث حقيقية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر في جنوب الجزيرة العربية، وقد أثار المؤلف من خلال عمله هذا مجموعة من الرؤى والأفكار تجعلنا نقف أمام عمل أدبي واعٍ قائم على تشكيل فنّي مترابط، فهو لا يهدف إلى إعادة سرد نسخة مكرّرة من التاريخ، بل يريد عرض التاريخ بلغة الرواية ليقترب أكثر من القارئ، ويقف معه على قراءة جديدة للتاريخ تكشف الكثير من الحقائق الخفية التي يمكن الإفادة منها في معالجة القضايا الشائكة في الواقع المعاصر.

وكان اختيار هذه الرواية لتكون مجالاً للدراسة لكونها حكايةً تاريخيةً أقرب أسلوبًا من غيرها إلى السرد الفنّي؛ فقد كانت غاية الكاتب تقديم نصّ يصلح للتمثيل السينمائي؛ فجاء النص بثوب فنّي في عرضه للمشهد التاريخي، كما أنّه نصّ مكثّف الدلالات رغم صغر حجمه؛ فهو مفتوح على كثير من الاحتمالات والتخمينات، وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى محتواه التاريخي وأبعاده الثقافية، وتناولت - بصورة مقتضبة- بعض عناصره الفنية كالأحداث والشخصيات والحوار، لعلّ من أبرزها دراسة زينب بيرة جكلي «الفن المسرحي والروائي عند صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي»، ودراسة صبيحة عودة زعرب «الخطاب السردي في رواية الشيخ الأبيض».

وقد عُني هذا البحث بتحليل الرواية من خلال مراجعة لتلك الأعمال النقدية وتقويمها، وكان التركيز على إثارة إشكاليتين: أولهما: محاولة الكشف عن رؤية الكاتب وأهدافه المعلنة وغير المعلنة، وهي إشكالية تحتاج إلى مزيد من الدراسة والنقد والتمحيص؛ ذلك أنّ هذا النصّ الأدبي منفتح على قراءات تأويلية وتفسيرية متعدّدة. وثانيهما: البحث في التشكيل الفنّي للرواية، وذلك باستجلاء أبرز معاييرها الفنية والأسلوبية، مع التركيز على عتبات

النصّ ولاسيما العنوان، ثمّ التشكيل اللغوي المتمثّل في لغة السرد والحوار مع الإشارة إلى الزمان والمكان، كما كان من المفيد تصدير هذه الدراسة بتمهيد عن إشكالية تصنيف هذا العمل بين الأجناس الأدبية.

1. إشكالية تصنيف الرواية بين التاريخ والأدب

تثير الروايات التاريخية جدلاً متصلاً بين الدارسين حول إشكالية المزج بين الحقيقة التاريخية والتخييل الروائي؛ حيث يراوح الكاتب بين دور المبدع ووظيفة المؤرّخ، والروائي الحقيقي هو الذي يمارس لعبته الفنية على مساحة وهمية بين الجانبين (أبو نضال، 2006، ص71). وقد ألّف الشيخ القاسمي روايته «الشيخ الأبيض» انطلاقًا من قصة حقيقية نابعة من تاريخ الخليج العربي في بداية القرن التاسع عشر، وقد أطلق عليها اسم رواية (بيرة جكلي، 2009، ص8). وتبرز أمام القارئ لهذا العمل إشكالية تصنيفه بين الأجناس الأدبية، فهل هو وثيقة تاريخية مجموعة ومرتبة بعناية وإحكام، أو هو رواية فنية مستندة إلى الحقيقة التاريخية، ولكنّها مشكلة تشكيلاً فنيًا قائمًا على الخيال الأدبي؟.

يميل بعض الدارسين الذين يميلون إلى أنّ هذه القصة قد تبدو للقارئ أنّها مجرّد قصة أدبية كتبها مؤلفٌ سرح به الخيال الأدبي الجامح في فضاء التخيّل وسماء التصور، بيد أنّ هذه القصة وإن كانت تستجيب للمعايير الأدبية المحضة مبنية على حقائق تاريخية (السالم، 2003، ص77). ويستند هذا الرأي على فكرة استبعاد حضور الخيال في القصة؛ لأنّ مؤلفها حريص أشدّ الحرص على الحقيقة التاريخية. وتؤكّد «بيرة جكلي» هذا الرأي مشيرة إلى أنّ الكاتب استعان في رواياته الأدبية بالتاريخ، استقرأه وتشبّع روحه وفكره، ثمّ أضفى عليه من لمساته الفنية ما جعله أدبًا مشوقًا، وإن لم يدخل فيه العنصر الخيالي؛ فالمؤلف إنّما هو راوٍ لما جرى من أحداث (بيرة جكلي، 2009، ص141).

وأمّا الرأي الثاني فيرى أصحابه أنّ المؤلف في استناده إلى الحقيقة التاريخية استعمل المخيلة الأدبية بصورة واضحة في تشكيله للرواية، فيرى الفيصل أنّ «القضيّة في نصّ (الشّيخ الأبيض) لا تتجلّى في الحقيقة التّاريخيّة، بل تتجلّى في كتابة هذه الحقيقة كتابة قصصيّة أو روائيّة؛ أي نقل الحقيقة من التّاريخ إلى الفنّ. فإذا أنعمنا النّظر في نصّ (الشّيخ الأبيض) استناداً إلى ذلك لاحظنا أنّ التّخييل دخل الحقيقة ليجعل منها قصّة» (الفيصل، 2010، ص57). غير أنّ المؤلّف الجيّد هو الذي يستخدم الخيال بالدرجة التي تمكّنه من الارتقاء بنصّه فنيًا من جهة، مع الحفاظ على فضاء التاريخ من جهة أخرى، وأن يضع أحداث التاريخ في خدمة عناصر الدراما المختلفة من مواقف وشخصيات وحوار (خضر، 2010، ص21).

والـرأي القائـل بتصنيـف هـذا العمـل ضمـن الأعمـال الروائيـة، لـه مـا يدعمـه مـن أدلـة مـن الروايـة نفسـها، وفضـلاً عـن ذلـك تمثّـل هـذه الروايـة «إضافـة إلـى رصيـد الروايـة التاريخيـة العربيـة، وتسـهم فـي توسـيع أفـق منظورنـا للعلاقـة التـي تقـوم بيـن الروايـة والتاريـخ، علمـا بـأن الروايـة العربيـة بالأسـاس قـد ارتبطـت بالتاريـخ ارتباطًـا وثيقًـا» (صبـري، 2005، ص264). فجنـس هـذا العمـل – إذن - هـو الروايـة التّاريخيـة؛ لأنّهـا روايـة تتعامـل مـع التّاريـخ، ولكنّهـا قائمـة علـى البنـاء الفنّـي، فهـي توظّـف التّاريـخ دون تتحـوّل إلـى كتـاب مـن كتبـه، وتتعامـل معـه دون أن تحـرّف حقائقـه وثوابتـه ودلالاتـه.

2. رواية «الشيخ الأبيض»: الرؤية والأهداف

كلّ عمـل أدبـي لـه أهـداف يريـد المؤلـف تحقيقهـا، وكثيـرًا مـا يخفـي المؤلفـون الأهـداف الحقيقيـة لأعمالهـم، تاركيـن للنقـاد فرصـة اكتشـافها بتأويلاتهـم المختلفـة. وإذا نظرنـا إلـى هـذه الروايـة فسـنجد أنّ المؤلـف قـد أعلـن فـي عتبـات النـصّ عـن هدفيـن، أولهمـا: مـا ذكـره فـي المقدمـة (القاسـمي، 1996، ص5). مـن أنّهـا كتبـت لغـرض إنتـاج فيلـم سـينمائي بطلـب مـن الممثـل الأمريكـي (باتريـك سـويزي)، الـذي أراد القيـام ببطولـة فيلـم عـن شـيخ عربـي فـي منطقـة الخليـج، فكتـب لـه الشـيخ هـذه القصـة اعتمـادا علـى حقائـق تاريخيـة. ثانيهمـا: تقديـم مـادة تاريخيـة حقيقيـة مسـتندة إلـى مصـادر موثوقـة، قـال المؤلـف فـي صفحـة الغـلاف الأخيـر:«الشـيخ الأبيـض قصـة حقيقيـة وقعـت أحداثهـا فـي بدايـة القـرن التاسـع عشـر، ولكتابتهـا لـم أكتـفِ بمـا بيـن يـدي مـن وثائـق وكتـب، بـل قمـت بزيـارة لمدينـة «سـيلم» فـي الولايـات المتحـدة الأميركيـة، وشـاهدت المبانـي القديمـة فـي الجـزء المتبقـي مـن المدينـة القديمـة - بلـدة «جوهانـس بـول»- ... أمّـا فـي الشـرق فقـد بحثـت عـن أحفـاد «جوهانـس بـول» فـي ظفـار، فعثـرت علـى السـيد عبـد الخالـق بـن سـالمين بـن ربيـع، وهـو ابـن السـيدة المعروفـة فـي ظفـار «حريـر» بنـت عبـد الله بـن محمـد «جوهانـس بـول»، وأمهـا «بريكـون» التـي تزوجهـا والدهـا فـي أواخـر حياتـه».

فـأراد المؤلـف كتابـة قصّـة للممثـل الأمريكـي اعتمادًا علـى حقائـق تاريخية ثابتـة، ومعلومات دقيقـة حتّـى لا يكـون للخيـال السـينمائي دور فـي افتعـال أحـداث تشـوّه تاريـخ المنطقـة، وهـذا يـدلّ علـى غيرتـه علـى تاريـخ أمّتـه وتمسّـكه بالمنهـج الـذي لا يقبـل بتزويـر الحقيقـة (السـالم، 2003، ص77). كمـا أنّ المؤلـف قـد درس التاريـخ دراسـة أكاديميـة متخصّصـة، ومـارس العمـل الثقافـي والسياسـي علـى مـدى سـنوات طويلـة، وهـو يفهـم جيـدا بعقلـه وحسّـه وعواطفـه التكويـن النفسـي والتاريخـي للإنسـان العربـي (سـرحان، 2005، ص9). كمـا أنّ تقديـم هـذه الحقائـق التاريخيـة عـن المنطقـة يمكـن أن يخـدم الجانـب المعرفـي، وتعميـم تلـك الثقافـة التاريخيـة علـى أكبـر عـدد ممكـن مـن القـراء، وذلـك مـن خـلال قالـب روائـي شـائق اختـاره الكاتـب لنفسـه متتبعًـا فيـه خطـى الـرواد مـن كتـاب الروايـة التاريخيـة كجرجـي زيـدان ومحمـد فريـد أبـو حديـد وغيرهـا (فاطمـة، 2003، ص291).

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هو عن الدافع الأساسي وراء لجوء كتاب الرواية إلى التاريخ؟، فهناك عدّة دوافع أبرزها: رغبة المؤلف في استنهاض الهمم وإذكاء الشعور القومي لدى أمته لتذكرها بما كان لها من أمجاد غابرة وإنجازات عزيزة وقيم رفيعة، كما يمكن أن تتحول الوقائع التاريخية لديه إلى تورية سياسية وفنية غايتها الإسقاط على الحاضر (سرحان، 2005، ص7، 8). ويبدو أنّ الأهداف غير المعلنة لهذه الرواية فقد أثارت اهتمام الدارسين، وسنحاول بسطها مع شيء من المراجعة والتقويم، وهي:

الهدف الأول: تهدف الرواية إلى التعبير عن فكرة التعايش الحضاري بين الأمم؛ حيث نرى بطل الرواية الأمريكي عبد الله بن محمد (جوهانس بول) يؤثر العيش مع العرب على العودة إلى ديارهِ؛ لأنّه نشأ بينهم ووجد عندهم الراحة والطمأنينة والرخاء، كما أنّ العرب أحبّوه وجعلوه رئيسهم، فضرب بذلك مثلا لإمكانية تعايش الشعوب، إن كان ذلك قائمًا على الاحترام والمودّة (بيرة جكلي، 2009، ص142).

وهذا الهدف له مسوّغاته في هذه الرواية؛ لأنّ الكاتب حرص على بيان المعاملة الحسنة التي لقيها هذا الطفل في بيئته العربية الجديدة، وسعى إلى استخدام تعبيرات حوارية كثيرة تدل على عدم رغبته في العودة إلى بلدته (سيلم) في أمريكا، الأمر الذي يستشف منه أن البيئة العربية ليست بيئة معادية، فهي تملك قيما حضارية تستند إلى فكرة التعايش مع الآخر، وخاصّة إذا أبدى احترامًا للأعراف الدينية والثقافية لهذه البيئة؛ وقد صوّر المؤلف ذلك التحوّل الثقافي الذي حدث له بقوله:

«شبّ عبد الله (بول) في نعيم السيد محمد بن عقيل، الذي تبناه وربّاه أحسن تربية وعلّمه اللغة العربية فأجادها كواحد من أبنائها، درس علوم الدين فحفظها، ودرس علوم البحار ومارسها، وتمرّن على أساليب القتال فأتقنها، حتى غدا شابًا في الخامسة عشرة من عمره، بصحّة جيّدة، أبيض البشرة يميل إلى الحمرة من أثر الشمس وأنواء البحار، كان يلبس لباسًا عربيًا ويتمنطق بخنجر عربي. أحبّ «سلمى» وصيفة والدته زوجة السيد محمد بن عقيل، فطلبها من والده فزوجه إياها» (القاسمي، 1996، ص50).

وتبدو فكرة التسامح بين الشعوب من خلال مشاهد الرواية التي تميل إلى ترسيخ فكرة قبول الآخر من خلال الحوار والجنوح إلى السلم والعفو عن الآخر، ويكاد يخلو الخطاب في أغلبه من كل ما له علاقة بالعنف تجاه الآخر، كما أنّ شخصية السيد «محمد بن عقيل» هي شخصية مسالمة لديها رغبة كبيرة في أمن المنطقة، واستقرارها على الرغم من التحدّيات الكبيرة التي مارسها الإنجليز لتقسيم المنطقة وبث روح الفتنة بين شعوبها، يظهر ذلك جليًا في قتل ابن عقيل للبحارة الذين كانوا على متن السفينة الأمريكية (ايسكس) عدا عبد الله (بول)؛ وذلك بعد مشاركة طاقم السفينة بإيعاز من الإنجليز في

الاعتداء على جميع ممتلكاته في جزيرة (كمران). وعدا ذلك اتسمت شخصيته بالتسامح، فلم يقتل الطفل (بول)، بل أكرمه واتخذه ولدًا له على الرغم من الاختلاف الكبير في الجنس والهوية.

الهدف الثاني: أراد الكاتب بروايته إسقاط أحداثها على الحاضر، «فأمريكا وجدت في الخليج وأخيرا في العراق لتبقى، ولعنا نلاحظ ذلك من خلال إعجاب (بول) ودهشته عند مشاهدته مدينة البصرة، مما يدل على أن حالة بول هي واقع حدث بحكم ظرف تاريخي، التقطه المؤلف ببراعة فنية بالغة، وأسقطه على مفردات الحاضر، خاصة أن كتابة الرواية عاصرت زمن الاحتلال العراقي للكويت، وما تبعه من وجود أمريكي مكثف في الخليج العربي» (زعرب، 2007، ص71). ويؤكّد عبد الفتاح صبري هذا الرأي بقوله: «إنّ السفينة الأمريكية التي كان فيها الطفل الأمريكي (بول) واتجهت ذات يوم إلى شواطئنا بحثًا عن البن - ولو كان مدفوع الأجر - وتعرضت لهجمات قوى أخرى ومواجهات قوى محلية، هي ذات اللعبة الآن مع تنوّع الأدوات؛ فالنفط وأمريكا والقوى الأخرى الإقليمية والدولية و... وإسرائيل التي تتعملق وزرعت لتكون هي الشيخ الأعلى للعرب وللمنطقة، هي صورة أخرى من صور الشيخ الأبيض (جوهانس بول) الذي صار شيخًا لقبيلة عربية بإرادة نفس القبيلة» (صبري، 2005، ص263).

وإسقاط أحداث الرواية على الحاضر الذي يمثله الاحتلال الأمريكي للكويت أمرٌ مستبعدٌ، ولا أدلة كافية تسنده، وأمّا إشارة الكاتب إلى إعجاب (بول) بمدينة البصرة فلا يحمل أيّة دلالات بعيدة سوى إعجاب الصبي بهذه المدينة التي كانت مدينة تجارية عامرة في تلك المدّة الزمنية. وأمّا الدور الأمريكي في تلك الفترة فقد كان دورًا تجاريًا، عكس الدور الإنجليزي والفرنسي.

الهدف الثالث: لعلّ من أهداف الرواية الرئيسة النقد الاجتماعي للمجتمع المحلي الخليجي في تلك الحقبة التاريخية، فقد كان النصّ الروائي أكثر نقدًا وتشريحًا لأسباب الهزيمة، ويتجلّى الموقف النقدي بارزًا في نقد المؤسّسات الاجتماعية ومختلف العلاقات السائدة في تلك الفترة التاريخية (زعرب، 2007، ص80).

قدّم الكاتب رؤية نقدية غير مباشرة للحياة السياسية بالدرجة الأولى في تلك الفترة؛ فالوصف الدقيق للأحداث التي مرّت بها منطقة الخليج يدلّ على صراعات سياسية قوية بين المناطق المختلفة في البيئة العربية في جنوب الجزيرة العربية على وجه الخصوص، التي سببها الرغبة الشخصية في النفوذ والسلطة، ولاسيما في ظلّ الوجود الأجنبي الذي كان له دور كبير في إذكاء نار الفتنة بين أطراف الصراع.

الهدف الرابع: كانت رغبة الكاتب في إذكاء الشعور القومي واضحة؛ وذلك من خلال توجّه عميق نحو «تعميق الشعور بالانتماء الوطني لدى المواطن الإماراتي والخليجي بعامة، وتبرز أهمية المنطقة تاريخيًا بكشفها عن صفحات مضيئة وخالدة من تاريخ المنطقة» (فطمة، 2003، ص47).

وتبدو أهداف الكاتب غير المعلنة لهذه الرواية في رغبته في الكشف عن بعض الحقائق التاريخية التي مرّت بها المنطقة، وبيان المؤثرات المرجعية والحقيقية وراء لغز الاحتلال الأجنبي للبلاد العربية، وكذا معاناة الإنسان العربي المعاصر في عالم تحكمه الفوضى والعبث واختلال القيم (زعرب، 2007، ص82). لقد رغب بطل هذه الرواية السيد محمد بن عقيل في تحقيق طموحات سياسية كبيرة، كان آخرها رغبته في أن يصبح شريفًا على مكّة، ولكن لم يتمكّن من ذلك، فكان أن «التفت إلى بلدة «ظفار» وأضاف إليها مناطق كثيرة، شملت سنة 1824م، كل إقليم «ظفار»، كما وصلت إلى وادي حضرموت، ونعمت تلك المنطقة بالاستقرار والازدهار، فبنى السيد محمد بن عقيل القرى، وأقام المزارع والمتاجر حتّى أصبحت منطقة تجارية عظيمة، وجعل صلالة عاصمة لمملكته (القاسمي، 1996، ص71، 72). ثمّ يأتي عنصر المفاجأة المتمثّل في تلك النهاية المأسوية غير المتوقعة لهذا البطل الذي قتل برصاصة غادرة دبّرها له الشيخ سالم بن ثوري زعيم منطقة «القرا».

وكأنّ الكاتب يريد إيصال فكرة مفادها أنّ (ابن عقيل) استطاع أن يتقي شر الأخطار الخارجية بالوسائل السلمية مثل الحيل والمخادعة والتعلّم، لكنّه لم يستطع أن يتغلّب على الأخطار الداخلية الأشد ضراوة مما أسهم في إيقاد شعلة الصراع الداخلي، وتأجيج روح القبلية والعصبية، وبهذه الرؤية ينفتح الخطاب على الصراع الداخلي المحلي المتعدد الأشكال والألوان.

لقد أثارت هذه الرواية جملة من القضايا الاجتماعية والسياسية أبرزها: قضية الانقسام الداخلي للمجتمع المحلي، وقضية الهوية الوطنية، فضلاً عن قضية المؤامرة الخارجية؛ ويبدو أنّ اهتمام الرواية الإماراتية بالعودة إلى التراث، هي لقراءة الماضي بعيون الحاضر، ولاسيما بعد التحولات الكبيرة التي حدثت في المجتمعات العربية في السنوات الأخيرة؛ حيث أصبح الإنسان العربي مهددًا في هويته، ومن هنا جاء توظيف الخطاب الروائي للإسهام في نقد الذات، والكشف عن الأسباب والعوائق التي كانت ومازالت وراء تحقيق طموحات الإنسان العربي في تحقيق الوحدة والانسجام في مجتمع يسعى إلى التطور والتحديث، مع المحافظة على خصوصيته الثقافية، إيمانا بأن «التاريخ قد يعيد نفسه».

و تبدو رؤية الكاتب واضحة بشأن إشكالية الانقسام الداخلي لشعوب المنطقة؛ وذلك من خلال الإشارة إلى تراجع المدّ القومي على حساب المدّ العشائري، واشتداد الخلاف بين الأمراء وشيوخ القبائل، وقد مثل هذه الظاهرة خليط من الشخصيات ذات العلاقات المتشابكة، ولاسيما تلك الشخصيات السلطوية التي هيمنت على المشهد الروائي، والتي أدى صراعها على السلطة إلى تغلغل النفوذ الأجنبي الذي كان له تأثير كبير في سير الأحداث نحو مزيد من الانقسام والفوضى. ومن هنا يتجلى الموقف النقدي للكاتب لتلك المؤسسات السياسية والعلاقات السائدة، التي أفشلت مشروع السيد «محمد بن عقيل» في محاولته ضمّ ظفار إلى الدولة العثمانية، وأن يكون هو شريفًا على مكة المكرّمة. كما صور الكاتب النهاية المأسوية للبطل ابن عقيل للسبب نفسه، فقد كان في «طريقه عائدا من مرباط إلى صلالة في حراسة عدد قليل من عبيده؛ وإذا برصاصة تنطلق من جانب وادي الدُمر وتصيبه إصابة بليغة، هرب العبيد من حوله في تلك اللحظة، فأجهز رجال مجهولون بخناجرهم عليه. كان مدبّر الاغتيال هو الشيخ سالم بن ثوري بن قحطان زعيم القرا» (القاسمي، 1996، ص72).

إنّ هذه النهاية المأساوية لبطل الرواية هي في - نظر الكاتب - نتيجة حتمية لهذا الواقع المنقسم؛ فقد كانت طموحات البطل في إزالة أسباب التفكّك قوية، ولتحقيق هذا الغرض وتعزيز موقفه غازل الإنجليز والفرنسيين والعثمانيين، ولكنّه في نهاية المطاف لم يستطع صدّ الأخطار الداخلية لينتهي هذه النهاية المأسوية ويغتال من أقرب الناس إليه.

وأما قضية الهوية الوطنية فهي من أبرز القضايا إثارة في هذه الرواية، فقد كان «هاجس الكاتب ترسيخ التاريخ العربي، بل وبعثه من جديد لتعميق الوعي بعروبة هذه المنطقة – منطقة الخليج – والاعتزاز بالبطولات التي شهدتها أرضها؛ إذ ضحى أهلها تحت قيادة حكامهم بأرواحهم، ورسموا صورًا بطولية فذّة في تصديهم للحملات الاستعمارية المختلفة» (فاطمة، 2003، ص263)؛ وقد استندت قضية الهوية إلى عنصرين أساسيين هما: علاقة أنفسنا بذواتنا، وعلاقتنا بالآخر.

تناول الخطاب الروائي مسألة الهوية من خلال العلاقة الأسرية بين ابن عقيل وابنه بالتبني (بول)؛ وهي علاقة معقدّة نظرًا للاتساع الهوّة بين الثقافتين العربية والأمريكية، ولكنّنا نفاجأ من خلال أحداث الرواية بتطوّر كبير في هذه العلاقة؛ نظرًا لقبول الآخر (بول) لثقافة المنطقة وانسجامه التام في هويته الجديدة، يتضح ذلك بداية من تغيير اسمه الذي يعدّ ملمحًا مهمًا من ملامح الهوية؛ فحينما سأل السيد «محمد بن عقيل» الصبي الأمريكي عن اسمه أجاب: «اسمي (بول)، فقال السيد محمد بن عقيل: بل اسمك عبد الله ... عبد الله ابن محمد بن عقيل» (القاسمي، 1996، ص36). والتغيير في الاسم هو البداية الأولى المهمّة في تشكيل الهوية العربية.

ولكن قضية الهوية لا تتعلّق بتغيير الأسماء فقط؛ فهي قضية معقدّة لارتباطها بثوابت فكرية وثقافية متشابكة لعلّ أبرزها الدين، الذي يعدّ من أبرز العناصر في تشكيل الهوية، وقد كان قبول الصبي للدين الإسلامي نقطة تحوّل كبرى في علاقته الأسرية والاجتماعية، فمنذ الإمساك به على ظهر السفينة قال «حيدر» - وهو أحد المرافقين للصبي (بول) -: «سيدي هذا الصبي يريد أن يصبح مسلمًا، ومستعد أن يختن» (القاسمي، 1996، ص34).

وتتعلّق قضية الهوية كذلك برافد آخر مهمّ هو اللغة؛ فاللغة من أبرز العناصر الثقافية في العلاقات الاجتماعية والتواصل مع الآخرين، والاندماج في الثقافة الذاتية لهذه المنطقة، ومن هنا جاء ذلك التحوّل في إقبال (بول) على تعلّم اللغة المحلية؛ حتى وصل به الأمر إلى نسيان لغته الإنجليزية، وقد صوّر الكاتب هذه الشخصية بإثارة قضية الهوية والتحوّل الجذري في ثقافة البطل، فقال: «فقد شبّ عبد الله (بول) في نعيم السيد محمد بن عقيل الذي تبناه ورباه أحسن تربية، وعلّمه اللغة العربية فأجادها كواحد من أبنائها، درس علوم الدين فحفظها، ودرس علوم البحار ومارسها، وتمرّن على أساليب القتال فأتقنها، حتى غدا شابًا في الخامسة عشرة من عمره، بصحة جيّدة، أبيض البشرة يميل إلى الحمرة من أثر الشمس، وأنواء البحار. كان يلبس لباسًا عربيًا أنيقًا، ويتمنطق بخنجر عربي. أحبّ «سلمى» وصيفة والدته زوجة السيد محمد بن عقيل، فطلبها من والده فزوجه إياها» (القاسمي، 1996، ص50).

لقد وصل البطل إلى مرحلة من الاندماج التام مع الثقافة المحلية؛ وتشكلت لديه جميع عناصر الهوية الجديدة، بداية من الاسم والدين واللغة، وانتهاءً إلى اللباس والعادات العربية في الزواج، ثم يفاجئنا المشهد الروائي بأحداث تجسّد انفصاله التام عن الهوية الأمريكية، وتمثّل الهوية العربية الجديدة، يقول (بول) مخاطبًا الأمريكيين الذين عرضوا عليه العودة إلى أمريكا مع عائلته: «أنا ارتباطي بكم بالدمّ فقط ... ليست لدي الرغبة في الرجوع إلى بلدكم» (القاسمي، 1996، ص67).

لقد أصبحت مدينه (سيلم) مجرد ذاكرة في ذهنه، ولم يعد يشعر بأية مشاعر للعودة إلى وطنه، ويعلّل (بول) بما وجده في وطنه الجديد من الحبّ والرعاية اللذين تلقاهما من والديه بالتبني، «يقول: «إنّ والديّ اللذين أحبهما أفضل عندي من موضوع الحرية التي تعرضانها عليَّ» (القاسمي، 1996، ص67). ولكنّ فكرة الانفصال التام للبطل عن هوية الوطنية قد لا تكون مقنعة للقارئ؛ نظرًا لارتباط أي إنسان بوطنه في نشأته الأولى، لذلك خفّفت لهجة الإصرار لدى البطل بإعلانه: «إنّه يحبّ بلده الأصلي، ومتحمسٌ للرجوع هناك، لكن ذلك بعد وفاة السيّد محمد ابن عقيل» (القاسمي، 1996، ص68). وبقي هذا الوعد مجرّد حلم لم يتحقّق أبدًا؛ إذ بعد وفاة والده (ابن عقيل) زاد تمسّكه بهويته الجديدة، وقبل فكرة الاستمرار في منصب والده حاكما وشيخا لمنطقة (القرا) مدّة طويلة.

وترتبط قضية الهوية في الرواية كذلك بعلاقة الغرب بالشرق؛ ذلك أنّ الغرب المتمثّل في الاحتلال الأجنبي للمنطقة العربية هو العنصر الآخر في معادلة الصراع من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية؛ ولعلّ أهمّ ما يميّز الصراع في الرواية هو تأكيد فكرة أنّ الاحتلال الأجنبي يسعى إلى الهيمنة على المنطقة ماديًا وثقافيًا، وذلك بالاعتماد على قوته العسكرية، والاستعانة بحلفائه من أهل السلطة والنفوذ، فضلاً عن الجواسيس الذين يمدونه بالمعلومات، وينشرون الدسائس والمؤامرات.

وتأتي قضية المؤامرة الخارجية حاضرة بقوّة في المشهد الروائي؛ فقد جاءت أحداث الرواية لتسلّط الضوء على صراع (ابن عقيل) الطويل في ظلّ وجود أنماط استعمارية متعدّدة منها: الاستعمار البريطاني والفرنسي والعثماني، على الرغم من الاختلاف بين هذه الأنماط في أهدافها مشاريعها بشأن المنطقة العربية. ويبرز المشهد الروائي الصراع المشتعل بين الاستعاريين البريطاني والفرنسي الذي ينتهي لصالح الاستعمار البريطاني المعروف بدهائه، في حين يتراجع الوجود العثماني في المنطقة، ويؤيّد هذا البرنامج الاستعماري المتواصل للمنطقة فكرة المؤامرة في ظلّ امتلاك الرجل الأبيض للقوة ومعطيات الحضارة، وانقسام الرجل العربي بسبب تخلفه وتراجعه الحضاري.

وتؤيّد فكرة المؤامرة في المشهد الروائي عدّة مقوّمات أبرزها انتشار المنظمات الجاسوسية في مناطق الصراع، ونلحظ ذلك الحضور القويّ للجواسيس في أحداث كثيرة، ونفاجأ بوجود الجاسوس اليهودي داود يوسف، الذي أدى وظيفة كبيرة للإنجليز في جمعه للمعلومات وكتابة للتقارير عن عبد الله (بول) وإرسالها إلى الحكومة البريطانية، كما استطاعت المخابرات البريطانية الاستعانة بالجاسوس الإيطالي (جي بنزوني) لتتبع تحركات السيد «محمد بن عقيل» ومعرفة نشاطاته وتحركاته في المنطقة.

ووفق هذه الرؤية تكشف الرواية عن دور (المعلومات) في بؤرة هذا الصراع الحضاري، فالقوة العسكرية لا تحسم المعركة وحدها، بل المنظومة المعلوماتية هي من أهمّ الوسائل التي استخدمها الاستعمار الأجنبي في حسم معاركه، وبسط نفوذه في المجتمعات العربية.

لقد حاول المؤلف الكشف عن صراع تاريخي بين حضارتين مختلفتين في الهوية والثقافة، وعلى الرغم من حرص الرجل الأبيض (الغربي) على بسط سيادته ونفوذه على المنطقة، إلاّ أنّ الرجل العربي - الذي رغب على الدوام في مدّ جسور المحبّة والسلام مع الآخر - لم يتمكّن من تحقيق هذه الآمال، ولكنّه في الوقت نفسه لم يستسلم أمام هذه الأخطار، وبقي عصيًا أمام التيارات التغريب، على الرغم من الضعف العسكري، والعجز المعرفي.

3. التشكيل الفنّي في رواية «الشيخ الأبيض»

تستند هذه الرواية بوصفها عملا فنيًا على مجموعة من المعايير الفنية أبرزها: التشكيل السردي، «والسرد خطاب من خطابات الروايات المتراكبة، خطاب مرتبطٌ بالسارد أولاً، وبموقعه ثانيًا، وبالرسالة التي يبثها» (جاويش، 2011، ص49)، وتعتمد البنية السردية لرواية «الشيخ الأبيض» على طريقة السرد بالغائب، هو الأسلوب المتبع غالبا في عرض حوادث هذه القصة؛ فقد اعتمد الكاتب في تشكيل هذا النصّ على وجود راوٍ يقوم بسرد حكاية مرويه عبد الله بن محمد (بول)، كما غلب السرد الموضوعي المحايد على الرواية؛ وذلك لحرص الكاتب على نقل الحقائق التاريخية بصورة موثقة وبتفاصيل دقيقة، مثل ذكر أسماء الشخصيات، وزمان الأحداث ومكانها، و«وبذلك فإنّ سلطة الراوي ستشكّل حضورًا مؤثرا وفعالاً في ترتيب الحكاية وتوجيه القارئ الوجهة التي يشاء؛ حتّى إنّه عندما أفسح المكان لعبد الله كي يروي قصته، لم يدعه يرويها بضمير المتكلّم، على الرغم من أنّه سلّم له خيط السرد بدءًا من الصفحة الثالثة عشرة بعبارة «بدأ عبد الله يروي قصّته، بعد أن وضع المؤلّف نقطتين فوق بعضهما كدليل على دخول السارد المتماهي بمرويه حيّز الحدث، ولكنّه لم يمكنه من الاستفادة من هذا الحيّز السردي الجديد والتعبير عن نفسه ومشاهداته كما يريد، مخالفة أن تقوده الأحداث الجديد عكس الوجهة التي يريدها، ولهذا سرعان ما سيسترد خيط السرد منه» (عزت، 2005، ص283). وهنا يأتي السؤال: ما المعايير الفنية التي اعتمدها الكاتب في عرض هذه القصة التاريخية في صورة قصّة حقيقية لكن بأشكال ودلالات فنية؟.

1. التشكيل الداخلي للنصّ:

إنّ هذا النصّ بصورته الفنّية مختلف تمام الاختلاف عن صورته في المصادر التاريخية؛ فأحداث هذه القصة مبعثرة في تلك المصادر، فضلاً عن أنّها معروضة بطريقة وثائقية تسجيلية، وما قام به المؤلف هو إعادة تشكيل أحداث هذه القصة بصورة فنية، يتجلى ذلك من خلال وضع تصوٍّر كاملٍ لهذا العمل قائم على بداية وتسلسل للأحداث وصولا إلى نهاية غير متوقعة، وهنا يكون لخيال الأديب الوَظيفة الكبرى في إعادة التشكيل. ولعلّ من دلالات دخول هذا التّخييل هو بداية القصّة من نهايتها سنة 1836م، عندما جُرِح عبد الله بن محمد (بول) في أثناء معركة (مرباط)، بدلاً من البداية الحقيقيّة التي كانت عام 1805م عندما وصلت السفينة التجارية الأمريكية إلى مدينة (المخا) التي كانت مركز تجارة (البن) في الجزيرة العربية. وأمّا نهاية القصّة فقد كانت معركة (مرباط)، التي جرح فيها عبد الله بن محمّد ونقل إلى القلعة لعلاجه، وسؤال رجلين من رجال المهرة له عن أصله؛ وهذا يدلّ على أنّ الكاتب اختار الأسلوب الدّائريّ الذي يُنهي النّصّ بما بدأ به.

وأمّا أحداث القصة بين البداية والنهاية فهي وصفٌ للمرحلة التاريخية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر في منطقة الخليج العربي، وهي مرحلة ظهور الأطماع الغربية في هذه المنطقة، ولاسيما الأطماع البريطانيّة والفرنسيّة، وما حدث من صراعات عسكرية وتحالفات سياسية وحركة تجارية، وقد سجلّتها قصّة (الشّيخ الأبيض) بصورة متسلسلة ومترابطة وعرضتها بأسلوب واضح، وبلغة أدبية شائقة، كما وظّف الكاتب «الأسلوب السردي المبني على الحبكة الدرامية القائمة على عنصر التشويق» (عزت، 2005، ص284). وقد حرص على بناء أحداثه بناءً سببيًا؛ بحيث تتوارد متسلسلة تسلسلاً دقيقًا لا اختراق فيه لأحداث أخرى إلاّ نادرًا، وذلك عبر تقنية السرد المباشر (فاطمة، 2003، ص292)، ومن هنا تبدو رغبة الكاتب في سرد ما لم يقله التاريخ، أكثر من رغبته في إعادة سرد ما سطرته كتب التاريخ.

ونلحظ كذلك أنّ أحداث القصة لم تكن منصبة على عبد الله بن محمّد (بول) بقدر ما كانت منصبة على السيد «محمد بن عقيل» والد عبد الله بالتبني، فلم يكن لهذا الأمريكي أي تأثير واضح في أحداث المنطقة، فكأنّ وجوده هو مجرَّد نافذة للدخول إلى الأهداف الأساسية لهذا العمل، وهي الكشف عن جانب مهمّ من تاريخ المنطقة في صورة تجمع بين الحقيقة التاريخية والتشكيل الفنّي.

اعتمد الكاتب على جملة الوسائل الفنية منها أسلوب (الرسائل والمذكرات)؛ وهو نوعٌ من التناصّ التاريخي الضروري في بناء النصّ، فقد مكنّ الكاتب من الابتعاد عن الخطاب التاريخي المباشر؛ وكان استخدامه للكشف عن العلاقة التي تربط بطل الرواية مع شخصيات أجنبية وعربية مهمّة لها أثرها الفاعل في تاريخ المنطقة، كما أحدث هذا التناص قدرا كبيرًا من الترابط النصّي، وهو إجراءٌ معروف لدى كاتبي الروايات التاريخية، واستخدم الكاتب التسلسل الطبيعي للأحداث، وأسهم هذا النمط من السرد في تمكين القارئ من فهم عميق للأحداث، والوصول إلى دلالات عديدة ومتنوعة.

وأمّا توظيف الزمان فقد بدا واضحًا حرص الكاتب على ربط الأحداث التاريخية بأزمنها المحدّدة، وبتفاصيل دقيقة يذكر فيها اليوم والشهر والسنة، وغالبًا ما استعمل الكاتب الفعل الماضي في سرد حكايته بأسلوب الغائب، وكأنّه يهدف من خلال هذه التواريخ إلى تجسيد حراك شخصياته بالمكان وعلى نحو توثيقي سواء في انتقالها أم لقاءاتها (فاطمة، 2003، ص299)، ويسمّى النقاد هذا الزمن «الزمن الكرونولوجي»؛ و«ذلك حين يرغب المؤلّف في منح القارئ إشارة زمنية محدّدة كالوقت أو التاريخ أو اليوم، وغيرها من الإشارات الواضحة للفت الانتباه نحو تلك الفترة، أو مساعدة القارئ على ربط الأحداث المتشابكة، ولمزيد من الواقعية التي تشي بها الرواية» (بشرى، 2015، ص31).

وأما المدلول الفنّي للزمن فلم يكن فعالاً في الرواية بسبب الرغبة في تجسيد الحقيقة التاريخية، وعدم الاعتماد على أحداث تخييلية عادة ما يستخدمها الكتاب في فضاء الرواية، ولكن مع ذلك كلّه جاءت الأحداث التاريخية متسلسلة تسلسلا يريح القارئ في تتبع تلك الأحداث بتفاصيلها الدقيقة. ولعلّ من أبرز التقنيات التعبيرية للزمن الروائي استعمال الكاتب للوقف والاختزال والتحويل (فاطمة، 2003، ص301)، فقد وظّف الوقف في الحديث عن سيرة الصبي (بول)، فأشار إليه في بعض الفصول، ولكن لم يتحدث عنه بصورة تفصيلية كما كان يتوقع المتلقي، فجاء المشهد الأول ليعرض بداية الحكاية، ثم تأتي وقفات وبعدها يسلط ضوءًا يسيرًا على سيرة الفتى، حتى يأتي المشهد الأخير ليصور النهاية المفاجئة، وهي وصوله إلى مشيخة القبيلة، وأخذه بثأر أبيه. وجاءت تقنية الاختزال في رصد أحداث مكثفة قام بها البطل مثل الزيارة التي قام بها إلى البصرة، كما استند الكاتب على تقنية التحويل في بعض فصول الرواية.

وأمّا توظيف المكان في البناء الروائي فهو الجزء الذي يمكن أن يطلق عليه مصطلح الخلفية (Background)؛ إذ إنّ الخلفية لا تقتصر على المكان ووصف الطبيعة، ولكنّها تتكون أيضًا من البيئة كلّها: الريف والمقاطعة والوضع الزراعي أو الرعوي والمناخ والعادات والمستويات الاقتصادية... وغيرها (جاويش، 2011، ص107). وقد حرص الكاتب على الإشارة إلى الأماكن المختلفة المحدّدة بإطارها الجغرافي، ولاسيما أماكن الصراع وأسماء البلدان والأقاليم وذلك لإثبات الواقعية التاريخية على الأحداث، كما بدا توظيف المكان فنيًا في الحديث عن البحر والسفن العائمة التي كانت مسرحًا كبيرًا للأحداث، ولكن لم يتطرق الكاتب إلى تفاصيل المكان ودلالاته الإيحائية، غير أنّ دلالة السفينة بأسمائها المختلفة - وبوصفها أداة عسكرية واقتصادية -على الحركة البحرية في المنطقة، والمحاولات المتكرّرة لاحتلال منقطة الجزيرة العربية. كما كان لظهور المسجد في الرواية (القاسمي، 1996، 18، 27) دلالة على الهوية الدينية للمنطقة.

2. التشكيل اللغوي للنصّ:

التشكيل اللغوي هو أساس الإبداع الفنّي؛ لأنّه «المادة الحقيقية المشكِّلة لفنّ الأدب؛ لهذا ينبغي بذل جهد كبير في التعرّف على كيفية استخدام الأديب للغة» (وادي، 1989، ص25)؛ فالاستخدام الفنّي للغة هو الذي يمدّ النصّ بالعناصر الجمالية؛ فهو ينقل اللغة من مستواها العادي إلى المستوى الأدبي، وإذا نظرنا إلى اللغة المستعملة في هذه الرواية فسنجد أنّها تشكلت في مستويين متابينين: أولهما: التعبير اللغوي المباشر الذي يقتضي سرد الحقائق التاريخية بلغة تقريرية واضحة، وهذا أمر تقتضيه طبيعة هذا العمل القائم أساسًا على السرد التاريخي. وثانيهما: التعبير اللغوي الفنّي الذي يرتقي باللغة إلى مستوى الأدبية؛ حيث يدخل الأديب إلى الفضاء الروائي مستخدمًا فكره وخياله في تشكيل النصّ

مـن خـلال تقنيـات (الانزيـاح) تحقيقًـا لغيـات دلاليـة وجماليـة. وقـد اسـتخدم الكاتـب الأسـلوب التقريـري الموضوعـي الـذي يتناسـب مـع التواصـل والاتصـال بالجـذور والتـراث، وسـيكون المسـتوى الثانـي هـو مجـال بحثنـا فـي هـذا النـصّ، وقـد لاحظنـا أنّ الكاتـب اعتمـد تقنيـات فنيـة للارتقـاء بأسـلوب الروايـة، أبرزهـا: عنـوان الروايـة، والتصويـر الفنـي، والحـوار.

أ. أسلوبية العنوان:

يمثّـــل العنـوان العتبـة النّصيـة الأولـى فـي العمـل الروائـي، ويتمتّـع العنـوان فـي النّـص الروائـي بقيمـة أساسـية متدرجـة بـدءًا مـن تسـمية النـص وتعييـن محتـواه، واقتضـاء صلتـه بالمكونـات الحكائيـة، وانتهـاءً بقدرتـه علـى كشـف آليـات اشـتغال الروائـي، وبراعتـه فـي تشـكيل المنظومـة السـردية؛ فالعنـوان يمثّـل بطاقـة النـصّ التعريفيـة وهويتـه (مرشـد، 2010، ص19)؛ وقـد فضلّـت الروايـة العربيـة الحديثـة اعتمـاد عنـوان ذي دلالات رمزيـة تفتـح للقـارئ آفاقًـا مـن التأويـل، وتحثّـه بدافـع التشـويق إلـى قـراءة الروايـة لمعرفـة أبعادهـا وكشـف خفاياهـا العميقـة؛ «ولهـذا فالعنـوان يحيـل منـذ البدايـة علـى طبيعـة الخطـاب الـذي تـدرس علاماتـه، والبنـاء الـذي تتشـكّل منـه بقيـة دلالات متـن الخطـاب» (أوغيدنـي، 2014، ص205).

وقـد أثـار عنـوان هـذه الروايـة (الشـيخ الأبيـض) السـؤال الآتـي: هـل العنـوان هـو نقل مباشـر للقـب حقيقـي لقـب بـه بطـل الروايـة (جوهانـس بـول) فـي حياتـه، أو هـو عنـوان مـن نسـج خيـال المؤلـف؟ قصـد بـه مجموعـة مـن الأهـداف الفنيـة والاجتماعيـة والسياسـية؟.

يتكـون هـذا العنـوان مـن كلمتيـن: الأولـى (الشـيخ) وهـي تـدلّ لغـةً علـى الإنسـان المعـروف بالاسـتقامة والوقـار والعلـم لكبـر سـنّه وكثـرة تجاربـه فـي الحيـاة، وتـدلّ عرفًـا فـي البيئـة الخليجية علـى حاكـم إمـارة أو قبيلـة مـا بالدرجـة الأولـى، وأمّـا الكلمـة الثانيـة (الأبيـض) فهـي تشـير إلـى اللـون الـذي يـدلّ علـى الجمـال والثـروة والقـوّة.

وقـد ذكـر المؤلّـف صراحـة فـي نهايـة القصـة أنّ عبـد الله بـن محمـد (بـول) عـاش شـيخًا لقبيلـة (القـرا) مـدّة طويلـة مـن الزمـن، وكان يلقّـب بالشـيخ الأبيـض (القاسـمي، 1996، ص80)؛ فهـو لقـب اختـاره الكاتـب عـن قصـد لمـا يمثلـه مـن انزيـاح أسـلوبي يحمـل الكثيـر مـن الـدلالات، وهـذا شـبيه بمـا ذكـره الأسـلوبيون حينمـا تحدّثـوا عـن الفـرق بيـن الانزيـاح والمعيـار، فمثلـوا للمعيـار بالحليـب الأبيـض، ومثلـوا للانزيـاح بالحليـب الأسـود. وقـد أشـارت الباحثـة زعـرب إلـى أنّ مؤلّـف الروايـة قـد اختـار عنوانًـا ذا دلالات رمزيـة، فقـد «التفـت إلـى بنيـة الاختـزال مـن خـلال الانزيـاح؛ حيـث اختـزل العمـل برمتـه فـي لافتـة إشـارية متوهجـة، ومترعـة بالقرائـن الاسـتعارية والتشـبيهية الناصحـة الدلالـة، والتـي تشـير إلـى هيمنـة النمـوذج الأمريكـي وسـطوع نجمـه فـي السـماء... فربمـا قصـد المبـدع سـيطرة النمـوذج الأمريكـي علـى المنطقـة العربيـة، وبخاصـة الخليـج العربـي» (زعـرب، 2007، ص67).

ولا يمكن التسليم بهذا الرأي؛ لأنّ الحضور التاريخي لـ(جوهانس بول) في المنطقة مختلف تمام الاختلاف عن الحضور الأمريكي في القرن العشرين؛ فقد كان الحضور الأمريكي الذي مثله (بول) لأسباب تجارية، كما أنّ ارتباط (بول) بالمنطقة أصبح ارتباطًا ثقافيًا، وأصبح جزءًا من المنطقة، كما أنّنا لا نجد لهذه الشخصية أي تأثير كبير في الأحداث، ومن هنا يمكن القول: إنّ المؤلف قد اختار هذا العنوان لأغراض تشويقية فنية، والدلالة الظاهرة لهذا التعبير (الشيخ الأبيض) هي إشراك القارئ في النصّ من خلال عنصر المفاجأة الذي يحمله هذا التعبير؛ لأنّ المتعارف عليه هو أن يكون الشيخ المنتمي لهذه المنطقة حنطيًا أو أسمر اللون، أمّا أن يكون أبيض فهذا أمرٌ قد يشجّع القارئ على قراءة الرواية لمعرفة حقيقة هذا الأمر المخالف لمقتضيات الأحوال والأعراف. إنّ اختيار الكاتب لهذا العنوان هو اختيار واعٍ، ليس الهدف منه إسقاط أفكاره على شخصيات الرواية، إنّما في إشراك القارئ في متعة التشويق وتوقع ما سيحدث لهذه الشخصية الغريبة التي تدور حولها الحكاية.

ب. التصوير الفني:

ولعلّ من أبرز مقوّمات العمل الروائي لجوء المؤلف إلى التصوير الفنّي (الوصف) لرسم مشاهد عن الأحداث والشخصيات؛ ذلك أنّ التصوير أداة فنية مهمّة في عملية الارتقاء بجماليات الأسلوب، كما أنّه يسهم في إنتاج الدلالات، ولاسيما تلك المتعلّقة بالتعبير عن العواطف الشخصية والطموحات الإنسانية، كما يسهم في التأثير في القارئ ويشدّه إلى متابعة الأحداث والتفاعل معها، ومن الصعب تصوّر سردٍ خالٍ من العنصر الوصفي، كما أنّ اقتران الوصف بالسرد له تأثير مباشر في بناء لغة الرواية (السعدون، 2015، ص14)، ولكن يبقى الوصف عنصرًا من العناصر الفنية للسرد، ولا يمكن أن يحلّ محلّه أو يقوم مقامه.

والملاحظ في هذه الرواية أنّ الكاتب وظّف التصوير الفني للارتقاء بأسلوب الرواية في بعض أحداثها، فكان أن قدّم وصفًا لشخصياته محاولا الكشف عن خفاياها النفسية، انظر إلى حديثه عن عبد الله بن محمّد (بول) الذي صوّر عواطفه الشخصية المتعلّقة بمكان نشأته، وذلك بعد أن غادر بلدته (سيلم) في أمريكا، قال: «سرح عبد الله بخياله محاولا تذكر موطنه الأصلي. كانت تتراءى أمامه صور غير مكتملة. الزمن واسمرار وجوده مع العرب محت من ذاكرته كثيرًا من صور أيام حياته الأولى. تذكر «سيلم» تلك المدينة المزدحمة بالسكان وميناءها الذي كانت ترسو فيه سفنٌ كثيرة، جالبة إليها البضائع من كلّ بقاع الأرض. كانت صور ملاّك السفن تمرّ بذاكرته، «وليام غري» (William Gray) التاجر المعروف في مدينة "سيلم"، والسيد "وليام أورن" (William Orne) صاحب السفن الكثيرة، ومالك السفينة "ايسكس" (Essex)، وكذلك "وليام بنتلي" (William Bentley)

الشخصية المبجلة في "سيلم"، فقد كان يوم إنزال سفينته إلى البحر يوما عظيما لا ينسى، عطلت فيه المدارس، وترك العمال والصناع عدتهم، واندفعوا مع الحشود إلى شاطئ البحر، لمشاهدة ذلك الحدث البهيج، تذكّر والدته ووالدته، والأشياء التي كانت في بيتهم، مرآة كبيرة، وساعة حائط، وكتبًا كثيرة، كذلك مرّ بخياله ذهابه إلى المدرسة، وحاول أن يتذكر شيئا مما تعلّمه لكنّه لم يستطع" (القاسمي، 1996، ص8).

فهذا النوع من السرد القصصي لا وجود له في المذكرات والوثائق التاريخية، فقد أبدعته مخيّلة الكاتب من أجل تمثّل الحالة النفسية والشعورية المتعلّقة بمكان النشأة لعبد الله بن محمد (بول)، وفي هذا النص يقدّم الكاتب وصفًا للبيئة المكانية التي كانت تحتضن الطفل في مدينة (سيلم) الأمريكية قبل مغادرته تلك المدينة المزدحمة ووصوله إلى الجزيرة العربية. كما كشف هذا الوصف عن الارتباط العاطفي للشخصية بمكونات المكان وشخصياته، وهو وصفٌ يهدف الكاتب من خلاله نقل الحدث التاريخي إلى عالم الفنّ الروائي.

كما صوّر الكاتب لحظة وداع الطفل لأسرته في أمريكا أجمل تصوير، فقال: «صورة بقيت عالقة في ذاكرة بول عندما قيل له: ودّع والديك.. إننا سنترك «سيلم». هرول «بول» إلى بيته، عندما كانت كلّ أفراح الطفولة والصدقات المحبّبة إليه تتزاحم في ذاكرته، وتشدّ نفسه إلى الأرض التي أحبّها. وما إن وصل «بول» إلى بيته حتّى ارتمى في حضن والدته، ولم يستطع أن يطمس دمعتين سقطتا على يدها، فرفعته وهي توجهه إلى والد ذارفة الدموع، فضمّه والده إلى صدره ثمّ أمسكه بكلتا يديه وقال له: إنّك رجلٌ، وتستطيع تحمّل عناء السفر، وأخذه بيده وخرجا من البيت متوجهين إلى الشاطئ حيث كانت السفينة «ايسكس» على استعداد للسفر» (القاسمي، 1996، ص10، 11).

فهذا النصّ القائم على سردٍ قصصي ممتع هو – بلا شكّ - من نسج خيال الكاتب، هدفه التعبير بطريقة فنية تصويرية عن نفسية الشخصية في لحظة مهمّة في الأحداث، وهي مغادرة الوطن والأهل والأصدقاء إلى مصير مجهول، وهو نوع من التصوير الضروري في فنّ الرواية، لأنّه يشرك القارئ في تمثّل تلك الحالة العاطفية، ويجعله يتفاعل مع الأحداث ويحاول فهمها ومعرفة نهايتها.

ج. الحـــــوار:

يسهم الحوار في تطوير أحداث الرواية واستحضار الحلقات المفقودة منها، على أنّ عمله الأساسي في الرواية هو إتاحة الفرصة أمام الشخصيات للتعبير عن أحاسيسها

وعواطفها المختلفة[1]، وقد ظهر الحوار في هذه الرواية بصورة واضحة، ويبدو أن المؤلف في تعامله مع النصّ التاريخي، قام بتشكيل عناصر حوارية للارتقاء بالجانب الفني للسرد، فكان الحوار حاضرًا في بعض المواقف والأحداث في هذه الرواية، ومن أمثلة ذلك الحوار الذي جرى في السفينة الأمريكية «بعد أن قبض السيد «محمد بن عقيل» على البحارة الأمريكيين، وبعد أن توصلوا إلى الصبي (بول) وهمّوا بقتله قال لهم: «يجب المحافظة على حياته».

كان النّاس حول السيد محمد بن عقيل يتذمّرون لذلك القرار، وأخذوا يقنعون السيد محمد بن عقيل أن يوافق على قتل الصبي (بول)، وقالوا إنّه بذلك لا يبقى أثرٌ للسفينة الأمريكية ومن فيها.

وإذا بصوت زوجة السيد محمد بن عقيل من مؤخرة السفينة تنادي: «سيد، يا سيّد، أنا أتشفع فيه، اتركه لي من فضلك».

قال السيد محمد بن عقيل: خذوه إليها وليكن ابنًا لها. والتفت إلى من حوله وقال: إنّها لم تنجب أولادًا. ثمّ تنهّد وقال: «كان لي ابن، الحبيب عقيل، توفي في صباه في المخا منذ خمس سنوات، وكان صالحًا، موته كان فجأة! إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

نادى السيد محمد بن عقيل: «الوليد ... الوليد!!». فدفعت زوجته بـ(بول) إليه.

فسأله عن اسمه، فقال: اسمي (بول)، فقال السيد محمد بن عقيل: بل اسمك عبد الله... عبد الله بن محمد بن عقيل (القاسمي، 1996، ص35، 36).

فالوظيفة الفنّية لهذا الحوار هي الدخول إلى الفضاء الروائي والخروج من رتابة الخطاب التاريخي التقليدي، فقد أسهم هذا النوع من الحوار في بناء الأحداث وترابطها، وأنتج لنا مجموعة من الدلالات يتعلّق بعضها بصفات الشخصيات - ولاسيما الجانب النفسي والعاطفي منها - فشخصية ابن عقيل العسكرية القوية، لها وجهها الآخر المشفق على زوجه، الراغب في إشباع غريزة الأبوة من خلال تبنيه لهذا الطفل الغريب (بول). وتبقى هذه الصيغ الحوارية ضرورية في الكشف عن طبيعة الشخصيات، ولو وظّفها الكاتب بصورة موسّعة لكان أجدى من الناحية الفنية في الارتقاء بالسرد الروائي.

وترى فاطمة خليفة أنّ ما ورد من صيغ حوارية غير متعمّدة في رواية «الشيخ الأبيض»، لا يخرج عن إطار الحوار السردي المبني على منهاج تقليدي قال وقال (فاطمة، 2003، 293). وهذا الرأي غير دقيق لسببين: أولهما: أنّ الحوار في الرواية حاضر بصورة

(1) سلام، ص35.

واضحـة ومنسـجم مـع طبيعـة هـذا الجنـس الأدبـي، وهـو عمـل مقصـود مـن الكاتـب؛ لأنّـه غيـر موجـود بهـذه الصـورة فـي الوثائـق التاريخيـة. وثانيهمـا: أنّ الهـدف منـه واضـح، وهـو الانتقـال مـن السـرد التاريخـي إلـى السـرد الفنّـي، وقـد أسـهم هـذا الانتقـال فـي إنتـاج كثيـر مـن الـدلالات التـي يريـد الكاتـب توصيلهـا الـى القـارئ. ومـن الأمثلـة علـى ذلـك الحـوار القصيـر الـذي دار بيـن الأمريكييـن الذيـن قدمـوا مـن أمريـكا علـى متـن سـفينة تسـمى «سـيرين»، وبعـد لقائهـم عبـد الله بـن محمـد (بـول) طلبـوا منـه الرجـوع معهـم إلـى أمريـكا، فقـال لهـم: «أنـا ارتباطـي بكـم بالـدّم فقـط، قـال كابتـن «كـوك»: «لتأخـذ عائلتـك معنـا». أجـاب عبـد الله قائـلاً: «ليسـت لـديّ الرغبـة فـي الرجـوع إلـى بلدكـم».

فهـذا المقطـع الحـواري القصيـر قـد أسـهم مسـاهمة كبيـرة فـي إنتـاج دلالـة الانفصـال التـام للبطـل عـن هويتـه الوطنيـة، فلـم تعـدّ تهمـه رابطـة الـدمّ، ولـم يعـد ينتمـي إلـى بلـده الأصلـي (أمريـكا)، ولذلـك جـاء التعبيـر صادمًـا (بلدكـم) بـدلا مـن (بلـدي)؛ ولـو عبّـر الكاتـب عـن هـذا المعنـى بالسـرد التاريخـي المباشـر لمـا انكشـفت هـذه الدلالـة، ولفقـد النـصّ جانبًـا مهمًـا مـن تشـكليه الفنّـي.

خاتمة:

1. أراد المؤلـف كتابـة روايـة أدبيـة بعنـوان «الشـيخ الأبيـض» اسـتنادًا إلـى حقائـق تاريخيـة ثابتـة، وقـد تمثّلـت الأهـداف المعلنـة لهـذا العمـل فـي رغبـة واضحـة فـي الكشـف عـن حقائـق تاريخيـة مـرّت بهـا المنطقـة فـي بدايـة القـرن التاسـع عشـر الميـلادي، وأمّـا الأهـداف غيـر المعلنـة فتمثلـت فـي اسـتجلاء المؤثـرات الحقيقيـة وراء لغـز الاحتـلال الأجنبـي للبـلاد العربيـة، ومعانـاة الإنسـان العربـي فـي عالـم تحكمـه الفوضـى والعصبيـة القبليـة، وتعميـق الشـعور بالانتمـاء الوطنـي لـدى المواطـن الإماراتـي والخليجـي بعامـة.

2. جـاء النـصّ الروائـي أكثـر نقـدًا وتشـريحًا لأسـباب الهزيمـة، وتجلّـى الموقـف النقـدي بـارزًا فـي نقـد المؤسّسـات الاجتماعيـة ومختلـف العلاقـات السـائدة فـي تلـك الفتـرة التاريخيـة، وقـد أثـار هـذا العمـل جملـة مـن القضايـا الاجتماعيـة والسياسـية أبرزهـا: قضيـة الانقسـام الداخلـي للمجتمـع المحلـي، وقضيـة الهويـة الوطنيـة، فضـلاً عـن قضيـة المؤامـرة الخارجيـة، غيـر أنّ المؤلـف فـي اسـتناده إلـى الحقيقـة التاريخيـة اسـتعمل المخيلـة الأدبيـة بصـورة واضحـة فـي إعـادة تشـكيل هـذا العمـل، الأمكـر الـذي أدى إلـى تصنيفـه ضمـن جنـس الروايـة التاريخيـة.

3. وأمّـا عـن المعاييـر الفنيـة التـي اعتمدهـا الكاتـب فـي عـرض هـذه القصـة التاريخيـة، فبـرزت فـي التشـكيل الداخلـي للنـص؛ فأحـداث القصـة المبعثـرة فـي المصـادر التاريخية

بطريقة وثائقية تسجيلية، قد قام المؤلف بإعادة تشكيلها بصورة فنية، وذلك من خلال وضع تصور كامل لهذا العمل قائم على بداية وتسلسل للأحداث وصولاً إلى نهاية، وكان لخيال الأديب دور كبير في هذا البناء الداخلي، كما غلب السرد الموضوعي المحايد على الرواية؛ وأما المدلول الفنّي للزمن فلم فعالاً في الرواية بسبب الرغبة في تجسيد الحقيقة التاريخية، وأمّا المكان فقد وظّف للإشارة إلى الأماكن المختلفة المحدّدة بإطارها الجغرافي، ولاسيما أماكن الصراع وأسماء البلدان والأقاليم وذلك لإثبات الواقعية التاريخية على الأحداث.

4. وأمّا عن التشكيل اللغوي للرواية فتمثّل في مستويين متباينين: أولهما: التعبير اللغوي المباشر الذي يقتضي سرد الحقائق التاريخية بلغة تقريرية واضحة، وهذا أمر تقتضيه طبيعة هذا العمل القائم أساسا على سرد الحقيقة التاريخية. وثانيهما: التعبير اللغوي الفنّي الذي يرتقي باللغة إلى مستوى الأدبية؛ حيث يدخل الأديب إلى عالم الأسلوب مستخدما فكره وخياله في تشكيل النصّ من خلال تقنيات (الانزياح) تحقيقًا لغيات دلالية وفنّية.

5. لوحظ أنّ الكاتب اعتمد ثلاث تقنيات فنية للارتقاء بأسلوب الرواية هي: عنوان الرواية (الشيخ الأبيض) بوصفه من أهمّ عتبات النصّ، واستخدام التصوير الفنّي في وصف الأحداث والشخصيات، والحوار الذي أسهم الحوار في تطوير أحداث الرواية واستحضار الحلقات المفقودة منها. وخلاصة القول أنّ هذه الرواية تمثّل إضافة مهمّة إلى رصيد الرواية التاريخية العربية؛ فقد أسهمت في توسيع أفق منظورنا للعلاقة القائمة بين الرواية والتاريخ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أوغيدني، هدى (2014)، الاستراتيجيات الدلالية في الخطاب السردي الإماراتي، ندوة الثقافة والعلوم، دبي (الإمارات).
2. بشرى عبد الله (2015)، جماليات الزمن في الرواية: دراسة متخصّصة في جماليات الزمن في الرواية الإماراتية، منشورات ضفاف، بيروت.
3. بيرة جكلي، زينب (2009)، الفن المسرحي والروائي عند صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، دار الضياء، عمان (الأردن).
4. جاويش، علاء الدين سعد (2011)، ملامح الرواية عند جرجي زيدان، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية.
5. خضر، غنّام محمد (2010)، مسرح سلطان القاسمي دراسة نقدية، ط1 منشورات القاسمي، الشارقة.
6. زعرب، صبيحة عودة (2007)، الخطاب السردي في رواية الشيخ الأبيض مقدمة في المنهج الموظف، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد12.
7. السالم يوسف (2003)، في رحاب التاريخ: قراءة في مؤلفات الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
8. سرحان، سمير (2005)، الأعمال الإبداعية للشيخ سلطان بن محمد القاسمي المسرحيات، هارموني للطباعة والنشر، القاهرة.
9. السعدون، نبهان حسون (2015)، آفاق الرؤية وتشكيل الخطاب، دار غيداء، عمّان (الأردن).
10. سلام، محمد زغلول (د.ت)، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية.
11. صبري عبد الفتاح (2005)، الرواية في الإمارات: توصيفات أولية، بحث منشور ضمن كتاب: شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
12. عزت عمر (2005)، الرواية التاريخية والوثيقة: الشيخ الأبيض كنموذج، بحث منشور ضمن كتاب: شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
13. فاطمة خليفة أحمد (2005)، الرومانسية التاريخية في روايات سلطان القاسمي، بحث منشور ضمن كتاب: شاهد على التاريخ: نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
14. فاطمة، أحمد خليفة (2003)، تقنيات السرد في الرواية الإماراتية، بحث منشور ضمن وقائع الملتقى الأول للرواية الإماراتية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
15. فاطمة، خليفة أحمد (2003)، نشأة الرواية وتطورها في دولة الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي.
16. الفيصل، سمر روحي (2010)، الرِّواية التّاريخيّة بين الحقيقة والتَّخييل، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
17. القاسمي، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد (1996)، الشيخ الأبيض، دار الخليج للصحافة والنشر، الشارقة (الإمارات).

18. مرشد، أحمد (2010)، الحداثة السردية في روايات إبراهيم نصر الله، الدار العربية للعلوم ناشرون، عمّان (الأردن).
19. أبو نضال، نزيه (2006)، التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
20. وادي طه (1989)، جماليات القصيدة المعاصرة، ط2 مطبعة دار المعارف بمصر، القاهرة.

Translated Arabic References: **ترجمة مصادر ومراجع اللغة العربية:**

1. Ougnidni, Huda (2014), *Semantic Strategies in Emirati Narrative Discourse, Culture and Science Symposium*, Dubai (UAE).
2. Bushra Abdullah (2015), *The Aesthetics of Time in the Novel: A Specialized Study*, Dhifaf Publications, Beirut.
3. Bira Jakli, Zainab (2009), *Theatrical Art and Fiction by His Highness Sheikh, Dr. Sultan Al-Qasimi,* Dar Al-Dhia, Amman (Jordan).
4. Jaweesh, Alaa El-Din Saad (2011), *Aspects of the Novel by Jorgi Zidan*, Horous International Foundation, Alexandria.
5. Khidher, Ghannam Mohammed (2010), *The Theatre of Sultan Al Qasimi: a Critical Study*, 1st edition Al Qasimi Publications, Sharjah.
6. Za'rib, Sabiha Odeh (2007), Narrative Discourse in the Novel Sheikh Al-Abiadh: Introduction to the Curriculum, *Al-Rafid Journal*, Department of Culture and Information, Sharjah, No. 12.
7. Al-Salmi Al-Yousef (2003), *In the Ample Space of History: a Reading of the Works of Sheikh Sultan Bin Mohammed Al-Qasimi*, Department of Culture and Information, Sharjah.
8. Sarhan, Samir (2005), *The Creative Works of Sheikh Sultan Bin Mohammed Al-Qasimi's Plays*, Harmonia for Printing and Publishing, Cairo.
9. Saadoun, Nabhan Hassoun (2015), *The Horizons of Vision and the Formation of Discourse*, Dar Ghaida, Amman (Jordan).
10. Salam, Mohamed Zaghloul, *Studies in the Modern Arabic Story*, the establishment of knowledge, Alexandria.
11. Sabri Abdul Fattah (2005), 'The Novel in the UAE: Preliminary Descriptions' in *A Witness on History: Critical Reviews in the Play and Narrative Works of Sheikh Dr. Sultan bin Mohammed Al Qasimi*, Department of Culture and Information, Sharjah.
12. Ezzat Omar (2005), 'The Historical and Documentary Novel: Sheikh Al-Abiadh as a Model', in *A Witness on History: Critical Looks in Theatrical and Narrative Works of Sheikh Dr. Sultan Al-Qasimi*, Department of Culture and Information, Sharjah.

13. Fatima Khalifah Ahmad (2005), 'Historical Romance in the Fiction of Sultan Al Qasimi', in *Critical Looks in Theatrical and Narrative Works of Sheikh Dr. Sultan Al-Qasimi*, Department of Culture and Information, Sharjah.
14. Fatima, Ahmed Khalifa (2003), 'Narrative Techniques in the UAE Novel', proceedings of the first forum of the UAE novel, Department of Culture and Information, Sharjah.
15. Fatima, Khalifa Ahmed (2003), *The Origin and Development of the Novel in the UAE*, Cultural Foundation, Abu Dhabi.
16. Al-Faisal, Samar Rawhi (2010), The Historical Novel between Truth and Fiction, *Al-Rafid Journal*, Department of Culture and Information, Sharjah.
17. Al Qasimi, Sheikh Dr. Sultan bin Muhammad (1996), *Sheikh Al-Abiadh*, The Gulf House for Press and Publishing, Sharjah (UAE).
18. Morchid, Ahmad (2010), *Narrative Modernity in the Novels of Ibrahim Nasrallah*, Arab Science Publishers, Amman (Jordan).
19. Abou Nidhal, Nazih (2006), *Transformations in the Arab Novel*, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut.
20. Wadi Taha (1989), *The Aesthetics of the Contemporary Poem*, 2nd edition, Dar El Maaref Press, Egypt, Cairo.

The White Sheikh Novel: Vision and Artistic Formation

Ben Issa Bettahar

College of Arts, Humanities & Social Sciences - University of Sharjah

Sharjah - U.A.E.

Abstract:

The White Sheikh novel is one of the most famous works of Sheikh Dr. Sultan bin Mohammed Al-Qasimi. I chose this historical novel owing to its closeness to artistic narration. The goal declared by the writer was to provide a text that lends itself to filmic representation. This text assumed an artistic shape in its presentation of the historical scene. It is also a text of great significance despite its small size, in addition to being open to many possibilities and guesses. The objective of this research is to analyze the novel by focusing on two problems: (1) an attempt to reveal the vision of the writer and his declared as well as undeclared goals; (2) examination of the technical composition of this novel by clarifying its most important artistic and stylistic properties, with an emphasis on the thresholds of the text, namely the title and the linguistic aspects of narration and dialogue with reference to time and space. It was also useful to identify the literary genre to which this novel belongs.

Keywords: Historical Novel, Artistic Formation, Stylistic Criteria.